Journal of Arabic Language and Literature
Volume (1), Issue (4): 30 Sep 2022
P: 29 - 36
ISSN: 2790-7317
مجلة اللغة العربية وآدابها
المجلد (1)، العدد (4): 30 سبتمبر 2022 م
ص: 29 - 36

Absoluteness of Quranic Beauty

Moftah Mohamed Mohamed Omar Al-Bakush
Nalut University || Libya

Abstract: The concept of beauty in the Qur'an did not limit his attention milestones Hassan and beauty in the world and the Hereafter beauty sensuous but extended this care to the beauty moral than human beauty above beauty and this Mmaidl that the Qur'an method has its own different methods Arab rhetoric and rhetoric and composition. Dealt with this paper exaggeration Beauty Qur'anic where the Qur'an beautiful than all the beauty and charm of dazzling beauty eyes came every verse of the verses carry under their meanings of cosmic very beauty and splendor, we have deficits scholars of rhetoric and imagination to produce the like Quran came and papers of this article illustrated and much of the failure to meet the Qur'anic expression of beauty eloquent endless wonders do not cease because the Qur'an splendor of his eloquence and alignment of the letters arrived to the top of the miracles in all fields of literary and rhetorical. That the main thing in the miracle of the Qur'an is Mizar which of eloquence and rhetoric and the statement, and splendor of meanings and accuracy of harmony words in their buildings, and formatting commensurate with the sweetness of style and quality in the sense, then tightened in the link so that seizes on the feelings of the listeners of this Quran. The method in the Qur'anic text features swab scenic wonder, is reflected in the systems voice quality foundries in conjunction words and sentence and verses and Surat to be reached proficiency in the discharge of speech and Arts Rhetoric can not rhetoricians and spare breaths talented eloquent, coloring Qur'anic discourse was an art of arts likeness stylistic whole by linguists and the people of the ancient and modern statement blessed be God's best creators.

Keywords: Beauty, Goodness, The Hassan, The Truth, Miraculousness.

النظرة الجمالية في التعبير القرآني

مفتاح محمد محمد عمر البكوش
جامعة نالوت || ليبيا

المستخلص: إن القرآن الكريم لم يقصر عنايته بمعالم الحسن والجمال في الدنيا والآخرة على الجمال الحسي وإنما امتدت هذه العناية إلى الجمال المعنوي الذي يزيد الإنسان جمالاً فوق الجمال وهذا مما يدل على أن للقرآن الكريم أسلوباً خاصاً به مغايراً لأساليب العرب في البلاغة والخطابة والتأليف. تناولت هذه الدراسة بلاغة الجمال القرآني حيث إن للقرآن الكريم جمالاً يفوق كل جمال وسحر يبهر بجماله الأبصار فجاءت كل آية من آياته تحمل تحت معانيها معاني كونية غاية في الجمال والروعة، لقد عجز علماء البلاغة والخيال على أن يأتوا بمثل معاني القرآن وجاءت ورقات هذه المقالة موضحة وبكثير من التقصير في إيفاء التعبير عن الجمال القرآني البليغ الذي لا تنتهي عجائبه ولا تنقضي لأن القرآن الكريم بروعة بلاغته وتراصف حروفه وصل إلى قمة الإعجاز في كافة المجالات الأدبية والبلاغية. إن الجمال القرآني البليغ هو المحور الأساسي لحقيقة الإعجاز القرآني، وهو عنصر مهم في فهمها ويثبت أن له أساساً متيناً في اتخاذه محور النظريات والمناقشات العلمية لخواصه منها، الانسجام والمرونة والثبات عبر العصور والمجالات وكذلك الكشف عن أهمية حقيقة الجمال القرآني في وضع تطور العلوم الإسلامية وغير الإسلامية، إن أبرز شيء في إعجاز القرآن هو ما يظهر فيه من الفصاحة والبلاغة والبيان، وروعة المعاني ودقة انسجام الألفاظ في مبانيها، وتنسيقها تنسيقاً يتناسب مع عذوبة الأسلوب والجودة في المعنى، ثم إحكامها في الربط بحيث تستولي على مشاعر السامعين لهذا القرآن الكريم. إن الأسلوب في النص القرآني يمتاز بمسحة خلابة عجيبة، تتجلى في

النظم الصوتي وجودة السبك في ترابط كلماته وجمله وآياته وسوره إلى أن وصل إلى البراعة في تصريف القول وأفانين البلاغة فأعجز البلغاء وقطع أنفاس الموهوبين من الفصحاء، وتلوين الخطاب القرآني كان فناً من فنون إعجازه الأسلوبي أجمع عليه علماء اللغة وأهل البيان قديماً وحديثاً فتبارك الله أحسن الخالفين.

الكلمات المفتاحية: الجمال، الحسن، البديع، الإعجاز، الزينة.

المقدمة.

الحمد لله الذي علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد العربي الأمين.

أمّا بعد:

فإن البحث في القرآن الكريم والتدبر في معانيه، عمل لا تنضب مادته ولا يقل زاده، وجهد لا تضيع مساعيه ولا يخيب رجاء من خاض فيه، يتفق جميع الذين كتبوا عن إعجاز القرآن الكريم على أن القرآن معجز بأسلوبه الفريد البديع الذي هو فوق طاقة البشر، فقد جاء هذا الأسلوب على نسق خاص وصورة مباينة لما عرفه العرب من أساليب البيان إذ لامس أوتار القلوب، فاهتزت له العواطف وتحركت له المشاعر وأسال الدموع من العيون وخرت لجلاله وجماله جباه أساطين البلاغة وفحول البيان بأنهم أمام نظم إلهي ووحي سماوي لا يقدر على مثله مخلوق.

إن تذوق الجمال في النسق القرآني بما قدمه لنا من صور يتيح للنفس فرصة السمو بالأفكار والمشاعر إلى قداسة الرسالة النبيلة للقرآن وقدمت الدراسات اللغوية والأسلوبية والبلاغية القرآنية للدرس البلاغي مالم تقدمه أي دراسات أخرى، فقد تلقى البلاغيون الكلمة القرآنية بكثير من الانجذاب الروحي والعقلي لأنهم أدركوا ما تختزنه من عجيب التأليف، وبديع التصوير، وعمق التحليل في المستويات كلها فالآية من آياته تعطى كلا منهم من معناها بقدر ما يفهم، ويخرج المتدبر فيها بالمعنى الذي أنتهى عنده علمه والرائع حقاً أن الكلمة منه بالرغم من هذا لا تحمل وجهين متناقضين أو فهمين متعارضين بل معنى واحد على كل حال ولكن له سطحاً وعمقاً وجذوراً يتضمنها جميعاً معنى الآية وأسلوبها المحكم وللقرآن مسحة خلابة عجيبة تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي قد اعتنى القرآن الكريم عناية بالغة بنعمة الجمال الواسعة الانتشار في الكون، والعظيمة الأهمية للإنسان، فلفت إليها الخيال والحواس، ونصّ عليها كآية باهرة من الآيات الإلهية التي تدعو الإنسان إلى التدبّر والتعقّل، لم يولِ القرآن الكريم الجمال عناية لأجل إمتاع الحواسّ أو إبهاج النّفس فقط، بل قصد من وراء ذلك إلى تحريك الفكر وهزّ الوجدان، ليرى الإنسانُ في الجمال آيةً تحكي عن وجود الله تعالى وتعكس بعض الظلال لبهاء صفاته ولذلك نجد أن القرآن الكريم ينصّ صراحة على كون الجمال يشكّل آية جليّة من آيات الله الدالّة على عظمة وجوده تعالى. هذا هو سر بقاء الكلمة حية على عظمة ما لحقها من أهوال؛ لتخلُّف أبنائها في فترات متعاقبة، وهذا ما يجعلها هدفاً للدراسات الجمالية والبلاغية على الدوام دون النظر إلى تأخر أهلها؛ أو تراجعهم تراجعاً مؤقتاً.

مشكلة البحث:

إن مشكلة البحث تعتبر ركناً أساسياً من أركان البحث العلمي، والمشكلة هي تساؤل يدور في دهن الباحث حول مشكلة ما، وفي هذه الدراسة تكون الأسئلة كالآتي:

1. ما لفظة الجمال البليغ في القرآن؟
2. ما الجمال في التصور الإسلامي؟
3. ما مميزات الأسلوب القرآني ونظرته للجمال؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1- التعريف بالجمال وقيمته في القرآن الكريم.
2- إظهار الأسلوب البديع في القرآن الكريم من خلال الوقوف على بعض الآيات الكريمات.
3- بيان أسرار الجمال في القرآن الكريم من خلال انتقاءهُ الألفاظ في الحسن والجمال.

أهمية الدراسة:

تنبع الأهمية من دراسة بلاغة الجمال في القرآن الكريم من حيث إنها المصدر الأول للإعجاز القرآني البليغ.

منهجية البحث.

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وهذا المنهج يقوم على وصف الظواهر، إي وصف مظاهر الجمال كما وردت في بعض الآيات القرآنية وإبراز الجوانب البلاغية فيها، ولا يقتصر البحث الوصفي على جمع البيانات ولكن يقوم بتحليلها والوقوف على مظاهر الجمال فيها.

هيكلية الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وعلى النحو الآتي:

- المقدمة: وتضمنت ما سبق.
- المبحث الأول: التعريف بالجمال البليغ وقيمته في القرآن الكريم:
- المبحث الثاني: الجمال في التصور الإسلامي.
- المبحث الثالث: ميزات الجمال القرآني.
- الخاتمة: خلاصة بأهم النتائج والاستنتاجات.

المبحث الأول- الجمال البليغ وقيمته في القرآن

أورد العلماء تعريفات عدة متقاربة للجمال، بينها بعض التفاوت، حيث جاء في معجم الوسيط بأنه صفة تلحظ وتستحسنها النفوس السوية (إبراهيم مصطفى، ص: 200)، ومعنى كلمة جمال عند الأمام الجرجاني، ما يتعلق بالرضا واللطف، فالجمال عنده جمال الباطن لأنه علقه بالرضا واللطف (محمد الشريف الجرجاني، 2000: 82). وعرف القرطبي الجمال، فقال: ما يتجمّل به ويتزين والجمال الحسن (القرطبي، 2005: 101). إن للجمال معان متعددة، حيث يمكن مشاهدة الجمال في الإنسان وفي الأشياء وفي الأفعال والتصرفات وهذا يعني أن الجمال يكون في الشكل والمظهر وقد يكون في الأفعال والخلق.

الجمال حقيقة ثابتة في كتاب الوجود وهو قيمة من القيم تعلو عن المنفعة واللذة، وهو سمة بارزة في الصنعة الإلهية وحظِي الجمالُ باهتمام بَشَريّ منذ فجر البشرية، إذ خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وزرع في نفسه حب الجمال والتأثُّر به ومع تطور الحياة البشرية بدأت النظرة إلى الجمال تتغيَّر وتتطوَّر واتخذت كلُّ تجربة حضارية لنفسها مفهومات تعبِّر من خلالها عن فهمها للجمال والتعامل معه، مستفيدة من أبعاد الوعي الإنساني والعلاقات البشرية. الجمال ثالث ثلاثة من القيم التي شغلت الفكر البشري منذ بدأت المسيرة الإنسانية على ظهر الأرض لتحقق الرسالة التي من أجلها خلق الله الإنسان، وهي العبودية الخالصة لله وحده، هذه القيم الثلاثة هي: الحق والخير

والجمال وكان تناول الفكر الإنساني لها وهو بمعزل عن الدين الحقّ منذ فجر الفلسفة اليونانية حتى عصرنا الحاضر مثيراً، مضطرباً، متناقضاً، هزيلاً، تحوّلت معه هذه القيم الثابتة على يديه إلى قضايا نسبية، وهذا شأنُ الفكر الإنساني عندما ينأى عن هداية الدين الحقّ، إذ يتخبّط في غياهب الوهم، ويضلّ بوادي الظنون.

وذكر محمد الراشد أن للجمال جانبان: حسّي ومعنوي، وقد أخفق الفكر الإنساني تماماً في وضع مقاييس ثابتة لكليهما لكنّ الذِكر الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يتناول هذه القيمة تناولاً محكماً، سديداً، راشداً، يجعلها تسهم في سموّ المجتمع البشري، ودفعه إلى تحقيق رسالته الكريمة، ولقد ورد لفظ جميل وجمال في ثماني آيات من القرآن الكريم، منها موضع واحد عن الجمال الحسّي .وتحدَّث في المواضع السبعة الباقية عن الجمال المعنوي والخُلُقي، الجمال الحسّي ظاهر في كلّ مخلوق متناسق، لا عوج في خلقه، ولا اضطراب، ولا تشويه، والله تبارك وتعالى خلق الكون بما فيه ومن فيه على أكمل صورة، وأجملها، وأسماها، وقدّم الله تبارك وتعالى ظواهر هذا الكون الجميل في الكتاب العزيز شواهد على قدرته، ودلائل على ربوبيته، وآيات ناطقة بتوحيده، إن تصرف الإنسان إزاء الجمال هو مثل تصرفه أزاء جميع النعم الربانية التي خلقها الله لعباده فمنهم شاكراً ومتبطر، ومعترف ومنكر، فالجمال في النفس ذاته نعمة من أتم النعم (الراشد، 2002: 31).

وأضاف الكاتب لا يستطيع العصاة الحائدون عن درب النبي-ﷺ- إدراك آفاق الجمال التي حصّلها الصحابة بنظرهم إلى مصدر الجمال وآثار الجمال، ووزع بين المخلوقات أثراً قليلاً من رحمته، فهي به تتراحم، لأن المعصية تشكل حجابًا مستورًا عن التمتع بحقيقة الجمال. لقد عبر في كتابه عن مصدر الجمال هو أتباع الرسول عليه السلام وكذلك أتباع القرآن والسنة النبوية (الراشد، 2002: 13).

وهُناك آيات أخرى تتحدّث عن الجمال في الكون بغير لفظه، من ذلك حديث القرآن الكريم عن خلق الإنسان، إذ قال تعالى بعد أن وصف مراحل الخلق التي مرّ بها الإنسان، لقوله تعالى: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤). (المؤمنون: 14). ولا شكّ في أنّ مخلوقاً لأحسن الخالقين يكون على أرفع مستوى من الجمال والإتقان وهُناك آيات أُخرى تكشف عن ظواهر الجمال في خلق الإنسان، وهي تتمثّل في التسوية والتعديل، والتقويم.

ومن جمال الحياة الثياب؛ يلبسها الإنسان فتستره وتُجمّله، يقول تعالى: يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦). (الأعراف: 26). وهكذا تختم هذه الآية بما يؤكِّد النّظرَة الإسلامية للجَمال، قال السيد القطب حول هذه الآية إن الجمال المعنوي والنفسي الماثل في الاستمساك بمنهج الدين أولى بالاعتبار، وأجدر بالحرص عليه والأخذ به. (قطب، 1997: 123).

وقال عبد الجواد محمد أن لفظة الجمال ولفظة الحسن ولفظة الزينة ولفظة الزخرف ولفظة الجميل قد وردت جميعها في القرآن الكريم وهي مفردات عربية لها دلالاتها اللغوية في المعاجم العربية ومرداتها القرآنية في كتاب الله عز وجل وذلك الكتاب الذي نعته منزله جل شأنه بأنه أحسن الحديث. والذي يمثل بحق ذروة الجمال وقمة الحسن في عالم البيان بل إنه يبدو متفرداً بحسنه متميزاً بجماله وكماله ونظمه الحسن البديع، القرآن الكريم هو الكتاب الذي يعجز عن الإتيان بمثله إنس أو جانٌ، لقد عجز عن مضاهاته العرب البلغاء والجهابذةَ الفصحاء من الشعراء والخطباء، فقد أدهشهم نظمه العجيب وأخرس ألسنتهم أسلوبه الغريب حيث استمرت البلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمراراً لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر فهو الكتاب الكامل الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، ولا غرو في ذلك، فالكمال لله وحده، لقد صار هذا القرآن إلى أقصى غايات البلاغة والفصاحة . (المحص، 2005: 20).

المبحث الثاني- الجمال في التصور الإسلامي.

إنّ البيان القرآني يعرض الجمال عنصراً أساسياً في بناء الكون، ودعامة من دعامات الدين الحقّ وشريعته السمحة. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في سورة الغاشية: أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧). (الغاشية: 17). ولم يقل لماذا؟! لكي يلفت انتباهنا ويشد عنايتنا إلى دائرة الفحص الجمالي للشيء وليس للسؤال عن علته، فهو يريد أن يثير فينا الحس الجمالي كيف نفكر بضميرنا الحالي، كذلك ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣). (الملك: 3)، فالانسجام بين الأشياء وفيها هو سر جمالها، وهو المحور المطلق لفهم فلسفة الجمال بوجهها الحق، وفكرة الانسجام أول ما يأتي عند الفنان الذي ينسجم أول ما ينسجم مع ذاته حتى يتم له الانسجام التام مع الكون فيرى بعينه الناقدة الباصرة ما لا تستطيع الذوات الأخرى أن تراه وإن من أقدم المفاهيم التي أثرت في صياغة النظرية الجمالية لدى فلاسفة المسلمين هو مفهوم التناسق المرئي بين مجرات الكون وأجرامه وذراته والنظام الدقيق الذي تخضع له جميعها من السير الدائري المنتظم والجاذبية الموجودة بتقدير إلهي لا يعرف الزلل أو الحؤول، كما أنه لا يعرف الكسل ولا الخمول. (الراشد، 2002: 67).

إن أول ما يستوقف الباحث الذي يريد أن يؤصل الجمال في التصور الإسلامي من القرآن الكريم هو قوله تعالى: وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. (النحل: 6). لذا لابد من وقفة مع هذه الآية فقد وردت الإشارة إلى الجمال صريحة في القرآن ثماني مرات سالفة الذكر، واحدة منها بصيغة المصدر جمال والسبع الباقية بصيغة الصفة جميل فبالنسبة لصيغة المصدر جمال التي وردت في الآية المتقدمة من سورة النحل يلاحظ أن ذكر الجمال فيها جاء مقصوداً لذاته مستقلاً بجانب الفوائد المادية الأربع المذكورة في السياق. قال تعالى: وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦)وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧). (النحل: 5، 7). نلاحظ من خلال التأمل في هذه الآيات إن الله ذكر المنافع المادية وأعقبها بالمنافع المعنوية والمتمثلة في الناحية الجمالية التي تحدثها في نفس صاحب الأنعام، وتكمن أهمية الجمال أن الله جميل يحب الجمال. فقد ذكرت الآيات أربع فوائد مادية للأنعام هي:

1. الدفء ويقصد به الملابس والأكسية والأغطية وغيرها.
2. المنافع ويقصد بها النسل والألبان والجلود وغيرها.
3. الأكل ويقصد به اللحوم والشحوم.
4. حمل الأثقال إلى البلدان البعيدة.

ويأتي الجمال بين هذه الفوائد مستقلاً قائماً بذاته، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أمرين :الأول: هو أن الجمال أصل في هذا الكون .والثاني: هو أن الجمال في التصور الإسلامي مرتبط بالمنفعة ارتباطاً وثيقاً، فالنافع والجميل لا يكاد ينفصل الواحد منها عن الآخر في هذا التصور. وهنا إضافة بلاغية هامة: وتقديم الإراحة على التسريح لأن الجمال عند الإراحة أقوى وأبهج، لأنها تقبل حينئذ ملأى البطون حافلة الضروع مرحة بمسرة الشبع ومحبة الرجوع إلى منازلها من معاطن ومرابض. (بن عاشور، 1997: 105).

يدل الجمال في القرآن الكريم على الجمال والمنفعة معاً في الأرض والسماء فقد مد الله الأرض وجعل فيها رواسي أن تميد، وأنبت فيها من كل زوج بهيج وجعل المال والبنين زينة الحياة الدنيا، وخلق الخيل والبغال والحمير ركائب وزينة، وفرض عليهم السير في الأرض للسياحة والارتزاق والتأمل والاعتبار ويعتبر العقل هو المصدر الأول والأساسي للجمال.

وقال محمد أحمد الراشد: لا يستطيع العصاة الحائدون عن درب النبي- ﷺ- إدراك آفاق الجمال التي حصّلها الصحابة بنظرهم إلى مصدر الجمال وآثار الجمال، لأن المعصية تشكل حجابًا مستورًا عن التمتع بحقيقة الجمال. لقد عبر في كتابه عن مصدر الجمال هو أتباع الرسول عليه السلام وكذلك أتباع القرآن والسنة، أن القرآن قد نصّ على الجمال بما هو آية ودليل يشير إلى وجود الله سبحانه وتتجلى فيه عظمة صفاته جلّ جلاله: قال تعالى: أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦)وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧)تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨)وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩)وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠). (سورة، ق: 6، 10). يدعونا هذا النص القرآني إلى النظر في آيات الله ومن بينها البهجة التي يثيرها جمال النبات في النفس، ثم يبين لنا أن هذه الآيات إنما تمثل تبصرة وذكرى ليعقل الإنسان ويرجع إلى حضرة مولاه.

لقد تسلم الإسلام القيادة بهذا القرآن، وبالتصور الجديد الذي جاء به القرآن وبالشريعة المستمدة من هذا التصور. فكان ذلك مولداً جديداً للإنسان أعظم في حقيقته من المولد الذي كانت به نشأته لقد أنشأ هذا القرآ للبشرية تصوراً جديداً عن الوجود والحياة والقيم والنظم؛ كما حقق لها واقعاً اجتماعياً فريداً كان يعز على خيال تصوره مجرد تصور، قبل أن ينشئه لها القرآن إنشاءً نعم ! لقد كان هذا الواقع من النظافة والجمال، والعظمه والارتفاع، والبساطة واليسر، والواقعية والإيجابية، والتوازن والتناسق بحيث لا يخطر للبشرية على بال، لولا أن الله أراده لها، وحققه في حياتها، في ظلال القرآن، ومنهج القرآن وشريعة القرآن. فالجمال في الإسلام من معالم الهداية والموعظة والتربية، لكن إنما يتعامل معه القلب السويّ لا المقلوب وهذه الحقيقة ترجع بقضية الجمال إلى أن تكون قضية إيمانية محضة، لا يؤهل للإمامة فيها والقيادة وإنشاد شعرها والتغني بمضامينها غير مؤمن عامر الفؤاد نقيّ الجنان، وأما الكافر والعاصي والجاهل والظالم فإنما يحومون في المحيط الأبعد، ولا يستطيعون مقاربة مركز الجمال، (الراشد، 2002: 31).

المبحث الثالث- ميزات الأسلوب القرآني البليغ

نجد في الأسلوب القرآني مرونة في التأويل ومطاوعة على التقليب بحيث لا يدانيه أسلوب من الأساليب وهذه المرونة في التأويل لا تحتمل الآراء المتصادمة أو المتناقضة وإنما مرونة تجعله واسع الدلالة سعة المورد الذي تزدحم عليه الوفود ثم تصدر عنه وهي ريّانة راضية. هذه المرونة من أسباب خلود القرآن فإن الأساليب العربية طوال أربعة عشر قرناً قد عراها كثير من التغير والتلوين اللفظي والذهني، ومع ذلك فإن القرآن بقي خالداً بأسلوبه المتميّز وبخصائصه الفريدة يتجدّد مع العصور وظل رائع الأثر على ترامي الأجيال إلى هذه الأيام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. (الرازي، 1981: 16).

وتضعنا المشاهد في القرآن الكريم أمام لوحة تجمع على رقعتها عددًا من المشاهد الطبيعية المختلفة وتنتظم جميعًا في إطار موحّد تفيض عناصره بمظاهر الجمال، فها هو القمر يتدرّج في منازله فتتوارد عليه الأشكال والأحجام، وتتتابع عليه الأضواء والألوان حتي يعود رقيقًا خافتًا كأنه العرجون القديم، وها هي الجنات تمتدّ فيها شجيرات الأعناب ويشمخ فيها النخيل، وتتفجّر أرضها بعيون الماء، أضف إلى ذلك تعاقب الليل والنهار وحركة كلّ منهما حركةً منتظمة تتدرّج من نهاية الظلمة الحالكة إلى غاية الضوء الساطع، والعكس بالعكس وكلّها مشاهد تؤنس بجمالها العيون وتسرّ الألباب. وفي القرآن الكريم آيات عديدة توجه إلى الجمال في إبداع الكون، كما سبق أن ذكرت ويأتي على القمة من هذه الآيات، تلك الآية التي تبدأ باسم من أسماء الله الحسنى وهو البديع بديع السموات والأرض فهذه إشادة بالخالق الجميل في جانب الله تعالي. وكذلك جمال الصورة والمظهر، قال تعالى: اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

قَرَارًا وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (غافر: 64). أي خلقكم في أحسن الأشكال ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم. (ابن كثير، 1999: 474).

وفي السنن إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، الحديث أخرجه الترمذي في سننه. (سنن الترمذي: رقم الحديث 2820). فهو سبحانه يحب ظهور أثر هذه النعمة، فإنه من الجمال الذي يحبه وذلك من شكره على نعمه، وهذا جمال باطن فيجب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها، ولمحته سبحانه وتعالى للجمال أنزل على عباده لباس تجمل ظاهرهم، وتقوى تُجمل بواطنهم، قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) (الأعراف الأية، 26). وقال في أهل الجنة فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (11) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (الإنسان: 11). فجمل وجوههم بالنضرة، وبواطنهم بالسرور وأبدانهم بالحرير انتهي كلامه. (أبن قيم الجوزية، 1986: 323).

ولو لم يكن للجمال أهمية إلا حب الله له لكفي، من أن البشرية تحب الجمال وتهواه وتعشقه. أذن فالجمال يعم أرجاء هذا الكون ابتداءً بالإنسان وانتهاء بأصغر المخلوقات على وجه الأرض.

الخاتمة.

الله جميل في كلامه فالقرآن كتابه هو سيد الكتب رحمة وعذوبة وجمالاً كل آياته تنتهي بلحن جمالي فيه تناسق التعابير، الجمال صفة من صفات الله عزّ وجلّ، واسم من أسمائه الحسنى، فالله جميل في ذاته، وجميل في أسمائه فله من الأسماء أحسنها وأكملها فكلّ آيات القرآن تفيض سلاسةً وعذوبةً وجمالاً، إن أسلوب القرآن الكريم يجري عن نسق بديع خارج عن المعروف من نظم كلام العرب ويقوم في طرقته التعبيرية على أساس مباين للمألوف من طرائقهم البيانية والبلاغية، إن الشّكل الخارجيّ في تناسق الأبعاد أو انسجام الألوان أو تناغم الأصوات، أو البعد الدّاخليّ في جمال العقل وجمال الرّوح وجمال الأخلاق وجمال القلب، وجمال الإيمان والسّلوك يشير إلى صنعة المبدع سبحانه وتعالى. فالجمال يُعبَّر عنه في كلّ ما يصدر عنّا أو من حولنا، فلكلّ شيءٍ صورته الجميلة أو عكسها فالهيئة والكلام، والموقف، واللّغة كلّها إمّا أن يرتفع بها الجمال فتسمو وترق، أو تنحطّ مع القبح والبشاعة. أن بعض السمات الجمالية والفنية التي أوحت بها بليغة القرآن في هذه الدراسة تدل على القليل وليس الكثير ومهما حاولنا الحديث كثيراً أو قليلاً حول هذا الموضوع، فإنه يظل بحراً لربما لا يستطيع الجمع الغفير أن يتحصل على كل كنوزه ويواقيته.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم
- ابن الجوزية. شمس الدين بن أبي بكر بن أيوب (1986)، ***الفوائد***، سوريا: مكتبة دار.
- ابن كثير. إسماعيل بن عمر (1999)، ***تفسير ابن كثير تفسير القرآن العظيم***، تحقيق: سامي بن محمد. السلامة، لبنان: دار طيبة للنشر.
- بن عاشور. محمد الطاهر (1997)، ***تفسير التحرير والتنوير***، دار سحنون: للنشر والتوزيع.
- الترمذي. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر (1978)، ط1، ***سنن الترمذي***، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجرجاني. علي بن محمد الشريف (2000)، ***التعريفات***، لبنان: مكتبة بيروت.
- الرازي الشافعي. فخر الدين محمد بن عمر التميمي، (1981)، ***مفاتيح الغيب***، القاهرة: دار الفكر. للنشر.
- الراشد. محمد بن أحمد (2002)، ***آفاق الجمال***، سويسرا: دار المحراب.

- القرطبي. أبوعبد الله محمد أحمد الأنصاري (2005)، الجامع لأحكام القرآن. لبنان: المكتبة العصرية.
- قطب. سيد (1997). ***التصوير الفني في القرآن***. مصر: دار الشروق للنشر.
- المحص. عبد الجواد محمد (2005)، ***الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته)***، القاهرة: دار الكتب للنشر.
- مصطفى. إبراهيم وآخرون (1985)، ***المعجم الوسيط***، لبنان: بيروت.